﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ وعندما يعوجّ سبيل الله في حياة الناس أليست تعوجّ الحياة؟ أليست حياتنا الآن عوجاء، حياتنا الآن أصبحت تحت رحمة اليهود والنصارى؟ هل هناك عِوَج أسوأ من هذا؟ ليس عوجاً واحداً بل اعوجاج متعدد. ثم يقول: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(آل عمران:٩٩) ماذا عملت يا الله عندما قلت بأنك لست بغافل عنهم؟ ماذا عملت لنا؟ هل يمكن أن نقرأ قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ثم لا نجده قد هدى إلى كيف نواجه اليهود والنصارى؟ لقد هدى فقال بعد هذه الآيات نفسها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(آل عمران:١٠٠،١٠١)

مما ضرب القرآنَ المفسرون الذين يجعلون كلمة: ﴿هُدًى﴾ و﴿هَدَى﴾ تنصرف إلى مجال العبادات البحتة، أي: إلى صيام، إلى صلاة. إن القرآن كتاب حياة، كتاب حياة شاملة، يهدي الناس في كل مجالات الحياة، يهدي الناس

في كل شؤون الحياة، وليس فقط إلى الجانب الإيماني العبادي الروحي، فجاء المفسرون ﴿يهدي﴾ أي: يهديك إلى طريق الجنة، أي إلى ما تعمل به لتصل إلى الجنة، كيف تُسبِّح وكيف تصلى وانتهى الموضوع.

هنا يقول في مجال الحديث عن أهل الكتاب الأعداء في هذه الدنيا، أم أن أهل الكتاب سيكونون أعداء في الآخرة لنا؟ الآخرة ليست ميدان عداء من هنا وهنا، سيكون الناس كلهم يقفون بين يدي الله ليحاسب الجميع، ليس هناك طوائف متعادية. يقول هنا: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(آل عمران:١٠١) الاعتصام بالله، الثقة بالله، والثقة بكتابه، من الثقة بكتابه أن تعرف أن كتابه كتاب هداية، أن تعرف أن كتابه كتاب للحياة كلها، وليس فقط للجوانب الإيمانية التعبدية الروحية كما يقال: يهديك إلى ما تحصل به على ثواب لتدخل الجنة.

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ في حياته في مواجهته لأعدائه، هذه الأمة إذا اعتصمت بالله، إذا اعتصمت قيادتها بالله ستُهدَى إلى الصراط المستقيم في مواجهتها مع عدوِّها.

ثم يرشد إلى أن هذه الأمة لخطورة من تواجه، ومن العجيب أنه قال عن اليهود والنصارى إنه قد ضرب بينهم العداوة والبغضاء، أي أن الله سبحانه وتعالى قد خفف خفف كثيراً كثيراً فاليهود والنصارى الذين نصارعهم الآن هم من بعد التخفيف، بعد التخفيض، ومع هذا يغلبوننا!

كيف لو كان اليهود لا يزالون غير مضروب عليهم ذلة ولا مسكنة؟ كيف لو كانوا لا يزالون غير محكوم عليهم بغضب الله؟ كيف لو كانوا لا يزالون لم تُزرَع بينهم العداوة والبغضاء؟

الآن من العجيب أن يُهزم المسلمون أمام اليهود بعد التخفيض، بعد التخفيف، أي أنت الآن لا تواجه اليهودي الحقيقي المركّز، بل بعد التخفيف، تخفيف، تخفيف: ضَرَبَ بذلة، ثم مسكنة، وباؤوا بغضب، ثم ضرب بينهم عداوة وبغضاء، ثم، ثم. ومع هذا يقهروننا، مع هذا يتغلبون علينا! هذا شيء يثير العجب، يثير الاستغراب، وهم على الرغم مما هم عليه من تفرق وعداوة وبغضاء. يقول للأمة لا بد أن تعتصم بالله، لا بد أن تتحد كلمتها بالاعتصام بالله؛ فيقول بعد هذه الآيات عن اليهود: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ أليس في سياق الحديث عن اليهود ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ هذا من معاني الاعتصام بحبله والرجوع إليه وتحقيق العبودية له ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾(آل عمران:١٠٢،١٠٣) اعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا؛ لتكونوا بمستوى مواجهة هذه الطائفة التي تصد عن سبيل الله، وتبغي العوج لدين الله، هذه الطائفة التي تريد أن تكونوا كفاراً ضالين، هذه الطائفة التي لا تود لكم أيَّ خير.

وكأنه قال لنا: وأنا من جانبي قد خفضتهم كثيراً كثيراً، فضربْتُ عليهم الذلة والمسكنة، وحكمت عليهم بغضبي، وفرقت شملهم. فعندما تجبنون أمامهم، وعندما تصبحون أذلاء فهذا يشهد أن العرب، أن المسلمين في واقعهم مع دين الله أصبحوا أسوأ مما وصل إليه بنو إسرائيل.

من العجيب أننا نقرأ الآيات التي تتحدث عن اليهود، ثم نقول هؤلاء مجرمون. هم مجرمون حقيقة، لكن ونصب غضبنا عليهم وننسى أننا نحن العرب وقد أخبرنا رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) - سابقاً - فقال: ((لتحذّن حذو بني إسرائيل)) إلى درجة أن قال: ((حتى لو دخلوا جحر ضَبٍّ لدخلتموه)) وفي بعض ألفاظ الحديث ((لتحذن حذو من قبلكم)) قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: ((فمن؟)).

نحن نقرأ عن اليهود أليس تاريخاً أسود؟ أليسوا سيئين؟ أليست حالة غريبة جداً هم عليها: يقتلون النبيين، يكذبون بآيات الله، يتكلمون على الله بالسوء ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾(المائدة:٦٤)؟ لكننا لا ننظر إلى واقعنا نحن، أننا وصلنا نحن العرب أسوأ من بني إسرائيل في تعاملهم مع كتابهم، وفي تعاملهم مع أنبيائهم، وفي تعاملهم مع البشر ومع بعضهم بعض.

ولهذا كنا إلى درجة أن نُذَل بمن قد أُذِلوا، ونُضرَب ونستكين لمن قد ضُربت عليهم المسكنة، وتتفرق على أيدي من قد ضرب الله بينهم العداوة والبغضاء. أليس ذلك يدل على أننا أصبحنا في واقعنا أسوأ منهم؟

فعلاً الأمة من بعد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) تفرقت عن نهج نبيها، كما قال عن بني إسرائيل، كانوا من بعد نبي من أنبيائهم يختلفون، هؤلاء اختلفوا من بعد ورسول الله كان لا يزال مريضاً، اختلفوا وهو لا يزال

مريضاً على الفراش ((هلمَّ أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده)) قال عُمر ومجموعة: ((دعوا الرجل فقد غلبه الوجع، إنه يهجر، حسبنا كتاب الله))! اختلفوا والرسول كان لا يزال حياً، اختلفوا بعدما مات، قتلوا من كانوا كأنبياء بني إسرائيل. في شهر رمضان قتلوا علياً وصي رسول الله، وقتلوا الحسن، وقتلوا الحسين، وقتلوا فاطمة الزهراء كَمَداً، وقتلوا أئمة أهل بيته واحداً بعد واحد، وهم في هذه الأمة بمنزلة أنبياء بني إسرائيل في بني إسرائيل.

وكذبوا بالقرآن، ونبذوا القرآن وراء ظهورهم، وحوَّلوا القرآن إلى كتاب يخلق عقائد ليس فقط تنسب البخل إلى الله، بل تجعل الله مصدر كل قبيح، وتجعله يقضي ويقدّر كل قبيح.

وأنتم شاهدتم في التلفزيون الذي يعرض مسلسل (ابن ماجة) ما حصل لتلك المرأة من أولئك اللصوص (قضاء وقدر)! هكذا يُعلّمون الناس أن الله سبحانه وتعالى الذي نزه نفسه عن كل قبيح، وعن كل فاحشة، عن أن يريد ظلماً، أن يريد قبحاً، أن يأمر بظلم، أن يقدّر ظلماً، أن يقدّر قبيحاً أو أيّ شيء من المعاصي. يقولون عنه بأنه هو الذي قضى بالقبائح وقدَّرها، وأنه هو الذي يخلق الشر والنفاق والكفر في قلب الكافر والمنافق، وهو الذي يقدّر على العاصي أن يعصي.

ألم يتفوّقوا على بني إسرائيل في هذا؟ بنو إسرائيل قالوا: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾(المائدة:٦٤) **أي أن الله بخيل. من هو الأسوأ؟ من ينسب إلى الله البخل، أو من ينسب إلى الله كل فاحشة وما البخل إلا واحدة منها؟ ألم يتفوق العرب على بني إسرائيل في تعاملهم مع كتاب الله، في تعاملهم مع أهل بيت رسول الله، في تعاملهم مع رسول الله** (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)**؟**

وأنتم عندما تستعرضون ـ وهذا الذي يجب أن نفهم، وهو من الحكمة ـ في أن يُعرَض الكثير عن بني إسرائيل في هذا القرآن، وكيف بلغ بهم الحال ثم عندما نرى أنفسنا مقهورين بهم لننتبه؛ لأننا لن نُقهر على أيدي هؤلاء إلا لأننا قد أصبحنا أسوأ منهم في تعاملنا مع دين الله، حرَّفوا سنة رسول الله، كذبوا على رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) **كذبوا عليه أحاديث تعطل كتاب الله، أحاديث تتنافى مع حكمة الله، تتنافى مع حكمة رسوله.**

فعلاً عندما أصبحنا أسوأ من بني إسرائيل ضُرِبْنا على أيدي بني إسرائيل، وإلا فلماذا هذه الأمة العربية، الذين كانوا يتقاتلون على أبسط الأشياء، كانوا أمة واحدة يستطيعون أن يَقهَروا؟ اليهود ظلوا بين أيديهم أجيالاً متعددة في بلدانهم وهم تحت رحمتهم وحلفاء لهم، ألم يكن يهود خيبر وفدك وبنو النضير وبنو قينقاع وبنو قريظة وغيرهم كانوا على كثرتهم وغنائهم ما زالوا حلفاء تحت رحمة أشخاص وقبائل عربية؟

فلماذا إسرائيل داخل البلاد العربية، داخل هذه الأمة ـ وهم عدد قليل، لا يزيدون على خمسة ملايين ـ هؤلاء أصبحت الأمة تحت رحمتهم، أصبحت الأمة خائفة منهم، أصبحت مقهورة أمامهم، حتى اقتصادياً، الآن العرب يخافون من أن إسرائيل ستكتسح العالم العربي اقتصادياً، وأنها تسعى للسيطرة اقتصادياً وسياسياً، أن تقود دول الشرق الأوسط. هكذا يقولون عن إسرائيل. هم يعرفون أنفسهم أنهم مهزومون أمام إسرائيل، يخافون أن تقهرهم، وستقهرهم فعلاً.

ليسوا مؤهلين لأن يقهروا إسرائيل كما كان أولئك الأعراب القليلون استطاعوا أن يجعلوا اليهود تحت رحمتهم في تلك المناطق التي كانوا ساكنين فيها، وهم كانوا تجمُّعات قبلية قريبة من العدد الذي كان عليه العرب في المدينة وغيرها.

بعد ذلك وجَّه الأمة إلى التوحد، وجه الأمة إلى التقوى، إلى الصفح، إلى الاعتصام بحبله الاعتصام بدينه، الاعتصام بكتابه، ثم نهاهم عن التفرق، نهاهم عن الاختلاف. ماذا عمل فقهاء هذه الأمة؟ جعلوا الاختلاف مشروعاً، وجعلوا الاختلاف داخل هذه الأمة رحمة. ألم يقولوا: (اختلاف أمتي رحمة)؟! جاؤوا يدعون كل إنسان إلى أن يجتهد ويستنبط، استخرجْ أحكاماً، اعملْ لك مذهباً، اعملْ لك أيَّ شيء تريد، (وما أدى إليه نظرك فهو صحيح). دعوا إلى ذلك ووسعوه من بعد ما مات رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) **فتفرقوا واختلفوا، فرقوا الأمة وفرقوا الدِّين؛ لأنهم لم يهتدوا بكتاب الله سبحانه وتعالى.**

ولذا قلنا: إنما وصلت إليه الأمة ليس نتيجة هذا التاريخ الحاضر، أو العصر الحاضر، وإنما له أسبابه فيما يتعلق بالأمة، أسبابه المتلاحقة منذ أن مات رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) **إلى الآن.**

ولاحظ مما يؤكد أن الله سبحانه وتعالى يهدي الأمة إلى ما فيه المخرَج أنه يأتي بالحديث عن التوحد، يأتي بالحديث عن القيادة، يأتي بالحديث عن الجهاد، يأتي بالحديث عن عداوة بني إسرائيل للأمة، يأتي بالحديث

عن الإنفاق في سبيله في أثناء الحديث عن بني إسرائيل. حتى بعد هذه الآية التي أمر فيها بالتوحد والتقوى والاعتصام الجماعي وألاّ يختلفوا سبقها بحديث عن بني إسرائيل، ثم تحدث فيما بعد عن بني إسرائيل، فقال بعد أن استمر في هذه الآيات: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُم مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(آل عمران:١١٠) ثم قال: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ * ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾(آل عمران:١١١،١١٢) ما الحبل الذي أعطيناهم نحن؟ هو الولاء، البترول المعادن المصانع التي داخل بلداننا لشركاتهم هو الحبل الذي منحناهم نحن المسلمين، وحبل من دول الغرب منحوه أيضاً لإسرائيل فأصبحوا على ما هم عليه.

ألم يعد للحديث عن بني إسرائيل من جديد كما تحدث عنهم من قبل؟ فعندما أمر بالتوحد هو في كل هذا يشير إلى أن الخطر المحدق على الأمة هو من قبل اليهود وأهل الكتاب بصورة عامة، المواجهة ستكون قائمة، وأن الأمة لا يمكن أن تهتدي من جهة نفسها إلى أن تعرف كيف تواجه أعداءها، لا يمكن إلا بالعودة إلى الله، بالعودة إلى كتاب الله، وبالاهتداء بهديه؛ وحينئذٍ سيستطيعون أن يقهروا إسرائيل.

فمن هنا نعرف سر هزيمة العرب، سر هزيمة المسلمين، وأن الإسلام ليس هو الذي يصارع إسرائيل، الإسلام، القرآن ليس هو الذي يصارع اليهود، إنما كما قلت سابقاً: عرب بدون قرآن ولا إسلام، ومسلمون بدون إسلام، وبدون قرآن.

من العجيب أن العرب يفهمون أن أمريكا أحوج إليهم من حاجتها لإسرائيل، أليس ذلك معروفاً؟ هل البترول الذي تحتاج إليه أمريكا وبريطانيا وفرنسا وغيرها من دول الغرب من إسرائيل أو من البلدان العربية الأخرى؟ أمريكا وبريطانيا وفرنسا وغيرها بحاجة إلى العرب أحوج منها إلى إسرائيل. أمريكا حاجتها إلى إسرائيل لا تساوي شيئاً بالنسبة لحاجتها إلى العرب، والعرب يفهمون أن أمريكا هي وراء إسرائيل، وبريطانيا هي التي تساند إسرائيل، أمريكا هي التي تساند إسرائيل، وفرنسا ودول الغرب جميعاً هي التي تساند إسرائيل.

فلماذا لا يفهمون؟ إذا كانت أمريكا أحوج إلينا ودول الغرب أحوج إلينا كسوق استهلاكية، ويحتاجون إلى ثرواتنا البترولية وغيرها، ألا يستطيعون أن يستخدموا هذا كوسيلة ضغط على أمريكا وبريطانيا وغيرها لأن تجعل إسرائيل تكف عمَّا تقوم به على أقل تقدير؟! لا. إسرائيل تضرب الآن السلطة الفلسطينية، تضرب الفلسطينيين والعرب يعلنون وقوفهم مع أمريكا في قيادتها للتحالف ضد الإرهاب ـ كما يسمونه ـ.

أليس هذا من الأشياء الغريبة؟ أليس هذا مما يدل على أن مشكلة العرب ومشكلة المسلمين هي مشكلة داخلية؟ أنهم هم قد وصلوا إلى حالة سيئة، حالة سيئة لا يمكن للإنسان أن يتصور فظاعة هذه الحالة، لا يستطيعون أن يستخدموا حتى حاجة أمريكا لهم، والبترول بملايين البراميل أمريكا بحاجة إليه، وغيرها من دول الغرب. ما حاجة أمريكا إلى إسرائيل؟ ما هو الذي تستفيده أمريكا من إسرائيل من الناحية الاقتصادية؟ لا شيء لا شيء.

ثم لماذا لا يعملون على مقاطعة الشركات الأجنبية؟ أحياناً إذا حصل هكذا من منطلق فردي، أو مجموعات تعمل على أن تقاطع منتجاً معيَّناً لشركات يهودية. لكن لماذا لا تتخذ الدول العربية قراراً بقطع التعامل الاقتصادي مع أيِّ شركة إسرائيلية، أو تدعم إسرائيل. أليس باستطاعتهم هذا؟

إذا كان العرب يخافون من أيِّ حصار اقتصادي على دولة ما فلماذا لا يعملون على إقامة سوق إسلامية مشتركة؟ الإمام الخميني تبنى هذه الفكرة، وإيران تبنت هذه الفكرة، ودعت إليها وألحت عليها: أن العرب، أن المسلمين لا بد لهم في أن يكونوا متمكنين من أن يملكوا قرارهم السياسي، لا بد من أن يكون لهم سوق إسلامية مشتركة بحيث يحصل تبادل اقتصادي فيما بين البلدان الإسلامية، ومع بلدان أخرى.

أيضاً هناك بلدان أخرى ليست مستعدة أن ترتبط اقتصادياً بأمريكا في ما لو حصل من جانب العرب مقاطعة لأمريكا، أو لأي بلد تساند إسرائيل، هناك بلدان أخرى مستعدة للتعامل مع العرب، ستأخذ بترولهم، ستأخذ منتجاتهم، ستأخذ أشياء كثيرة وتتعامل معهم، كما عملت إيران عندما اتجهت إلى التعامل مع بلدان معينة عندما ضايقها الحصار الاقتصادي. لم يتجه المسلمون بأن يكون لهم عملة إسلامية موحدة. العرب، المسلمون هم الذين أضاعوا أنفسهم.

ولنعد من جديد إلى تأييد فكرة الإمام الخميني (رحمة الله عليه) في ضرورة إحياء (يوم القدس) وكما قلت سابقاً لماذا لم تحي الدول العربية كحكومات (يوم القدس)؟ ليسوا جادين في مقاومة إسرائيل، ليسوا جادين في محاربة اليهود والنصارى، هم أولياء لليهود والنصارى، هم أصدقاء لأمريكا، أصدقاء لبريطانيا، حتى بعضهم أصدقاء لإسرائيل لا شك في ذلك. هم الذين عطلوا البلاد الإسلامية من أن تنتج الخيرات من داخلها، فيحصل أبناؤها على الاكتفاء الذاتي في أغذيتهم، وفي ملابسهم، وفي غيرها، هم الذين أوصلوا المسألة وطوروا القضية من صراع عسكري إلى صراع حضاري يحتاج إلى أن تنهض الأمة من جديد، وتبني نفسها من جديد، حتى تكون بمستوى المواجهة للغرب، والمواجهة لربيبة الغرب إسرائيل.